صفة الكلام وأدلتها من القرآن

يقول بعد ذلك: كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته، لا خلق من خلقه؛ هكذا أخبر تعالى بأنه كلم موسى والكلام معروف أنه الذي يسمعه المكلَّم؛ في قوله تعالى: { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } ثم إن الجهمية أنكروا ذلك؛ أنكروا أن يكون الله تعالى متكلما، فأنكروا أن يكون كلم موسى وأنكروا المحبة، فأنكروا أن يكون يحب عباده أو أن من عباده من أحبهم، وأنكروا أن يكون اتخذ إبراهيم خليلا يعني محبوبا، واشتهر بذلك الجعد بن درهم وهو الذي قتله خالد القسري في يوم العيد، ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله يقول: ولأجل ذا ضحى بجعد خالد القسري يوم ذبائح القربان إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان ضحى به في يوم العيد بعد ما خطب قال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليما، ولم يتخذ إبراهيم خليلا ثم نزل من المنبر وذبحه، جعله أضحية فشكر الضحية كل صاحب سنة، هذا دليل على أن هؤلاء الذين ينكرون مثل هذه الصفات يصدق عليهم أنهم كفار، وقد كفرهم يعني المعتزلة والجهمية جمع من العلماء، سرد منهم اللالكائي خمسمائة من العلماء ذكرهم في كتابه: " شرح أصول اعتقاد أهل السنة" ولذلك يقول ابن القيم في النونية: ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر ..... (خمسون في عشر أي خمسمائة). ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان و اللالكائي الإمام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبراني لا شك أن كفرهم لأجل تنقصهم لله تعالى؛ فالله سبحانه وتعالى كلم موسى تكليما، ذُكر أن بعض المعتزلة جاءوا إلى أبو عمرو بن العلاء الذي هو أحد القراء أبو عمرو بن العلاء فقالوا له: لعلك تقرأ هذه الآية:" وكلم اللهَ موسى تكليما"؛ يريدوا أن يكون موسى هو الذي كلم الله، فقال له أبو عمرو هَب أني قرأت هذه الآية كذلك، فكيف تصنع بقول الله تعالى: { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ } هل تحرف هذه الآية؟ فبهت ذلك المعتزلي يعني: أنه لا يستطيع أن يحرفها. ثم ذكر شيخ الإسلام أنهم حرفوها تحريفا معنويا فقالوا: كلم الله موسى يعني: جرَّحه، لأن الكلم هو الجرح جرَّحه بأظافير الحكمة، وهذا تحريف للكلم عن مواضعه، فيقال: كيف تفعلون بآيات النداء؟ وكيف تفعلون بآيات الكلام؟ قول الله تعالى: { إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي } ما قال بتجريحي أو بتكليمي؟ وكذلك آيات النداء: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ } النداء لا يكون إلا بكلام؟ { وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى } { وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا } ؟ فلا يستطيعون أن يحرفوا ذلك. فالله تعالى ناداه وكلمه بكلام أسمعه إياه وفهمه، كلامه صفة ذاتية يعني: تعرفون أن الصفات تنقسم إلى قسمين: صفات ذاتية وصفات فعلية. فإذا قيل: صفة اليدين هل هي ذاتية أو فعلية؟ ذاتية لأنها ملازمة للذات، وصفة السمع والبصر صفة ذاتية، وكذلك صفة الكلام صفة ذاتية، وأما صفة المحبة، وصفة الرحمة، وصفة الغضب والرضا، وصفة البغض والكراهية فإنها فعلية، الصفة الذاتية هي التي لا تنفك عن الذات بل ملازمة للذات، وأما الصفة الفعلية، فهي التي يفعلها إذا شاء، فإنه يغضب إذا شاء ويرضى إذا شاء، في حديث الشفاعة: { إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله } . فدل على أن الغضب ليس ملازما للذات، وكذلك الرضا، وكذلك الرحمة، وكذلك بقية الصفات الفعلية؛ فالكلام صفة ذاته، لا خلق من خلقه؛ رد على المعتزلة الذين يقولون: إنه مخلوق؛ وذلك لأنهم لما نفو صفة الكلام لم يجدوا بُدًّا من أن يقولوا: إن القرآن مخلوق، -تعالى الله عن قولهم-.